دور الشعر في مواكبة أحداث الغزو الصليبي لمدن الشام

د. كريم علي عبد علي
كلية الاداب / قسم اللغة العربية
الجامعة المستنصرية

مدخل :

كانت البلاد الاسلامية عشية الغزو الصليبي تعاني من الضعف والتفكك والخلاف في الصف الاسلامي ، وكان هذا الضعف هو الباب الذي ولج منه الصليبيون الى هذ البلاد ، حيث ظهر جيشهم امام اسوار انطاكية سنة ٤٩٢هـ مؤسسا بها امارة ، في حين توجه جيش أخر الى (الرها) واحتلها ليقيم فيها امارة ثانية ، بينما تقدمت قوات ثالثة باتجاه بيت المقدس ، فاحتلته سنة ٤٩٢هـ لتنشئ بها امارة ثالثة ، اما طرابلس فقد ضرب الصليبيون بها حصارا محكما لمدة طويلة حتى استسلمت لهم سنة ٥٠٢هـ متخذين منها امارة رابعة ، فامتدت بذلك ممالكهم من ناحية ماردين الى عريش مصر، لم يتخلله من ولاية المسلمين غير حلب وحمص وحماة ودمشق [١] .

تخاذل الحكام المسلمون عن مواجهة هذا المد الصليبي ما عدا اتابك طغتكين حاكم دمشق الذي نازلهم في اكثر من موقعه ، وأوغل في الاراضي الواقعة تحت حكمهم الا أن حروبه لم تكن كلها مظفرة ،وقد توفي سنة ٥٢٢هـ[٢] . استمر

المسلمون على ضعفهم حتى ظهر عماد الدين زنكي، فالتفوا حوله وثارت حميتهم ، وكان أول زعيم مسلم قاد المسلمين الى الجهاد ، واستعادة ما سلب منهم وقام بهذه المهمة خير قيام[٣] .

كانت ولاية عماد الدين ايذانا بمرحلة جديدة في الصراع مع الصليبيين ،فقد جعل وكده تحقيق هدفين كبيرين هما : توحيد البلاد الاسلامية في الشام والجزيرة والموصل ، ومواجهة الصليبيين اعتمادا على قاعدة عسكرية وبشرية واسعة النطاق[٤] ، وبعد جهود مكثفة تمكن عماد الدين من توحيد البلاد الاسلامية في الجزيرة وعبر الفرات وملك حلب وما جاورها ثم تطلع الى دمشق وحاصرها ثلاث مرات الا انه لم يفلح في استردادها[٥] . وفي سنة ٥٣٤هـ هاجم الصليبيين بحصار حصن (بارين) واستولى عليه وكان هذا الحصن يشكل خطورة كبرى على المسلمين ، لان اهله كانو يقطعون الطرق ، وينهبون البلاد التي تجاورهم فأراح الله المسلمين من شرهم ، وفي السنة ذاتها استطاع ان يستولي على المعرة ، وكفر طاب[٦] .

وفي سنة ٥٣٩هـ حاصر عماد الدين مدينة (الرها)[*] وانتزعها من ايدي الصليبيين الذين حكموها نحو خمسون سنة ،فكان اخذها مهم نصرا عزيزا للمسلمين[٧] .

استطاع عماد الدين بهذه الانتصارات ان يكسر شوكة الصليبيين ، وأن يعيد للمسلمين ثقتهم بأنفسهم ، ولكن الله عز وجل لم يمهمله طويلا واختصه بالشهادة اذ قتله احد غلمانه وهو محاصر قلعة (جعبر) في الليلة الخامسة من شهر ربيع الاول سنة ٥٤١هـ[٨] . فخلفه ابنه نور الدين زنكي الذي سار على درب ابيه

في توحيد البلاد الاسلامية في الشام والجزيرة غير انه ارتأى أن قوة المسلمين لا تكتمل الا بتوحيد مصر والشام تحت قيادة واحدة ،لذا أرسل الى مصر عدة حملات تمكن في الآخيرة منها اسقاط الدولة الفاطمية وتم توحيد البلدين سنة٥٦٤هـ [٩].

وعندما تم لنور الدين ما أراد من توحيد البلاد الاسلامية ظل يقارع الصليبيين مستعيدا منهم الكثير من المدن ، والقلاع، والحصون ، واتجه ببصره الى الهدف الاسمى وهو تحرير بيت المقدس بالاتفاق مع صلاح الدين الايوبي ، ولكن ظروفا طارئة حالت دون ذلك ، ثم جاء موته لينهي اهم خطوة كان يحلم بها اذ توفي في الحادي عشر من شوال سنة ٥٦٩هـ بعله الخوانيق[١٠] ، فاضطربت بلاد الشام اضطرابا شديدا ، وتطلع صلاح الدين الذي كان يحكم مصر الى ملكها بعدما رأى ما ال اليه امر المسلمين في البلاد الشامية والجزيرة من تفكك وطمع الصليبيين في الاستيلاء على ممتلكاتهم ، فأرسل الى الخليفة العباسي العاضد ببغداد رسالة يلتمس فيها تقليدا جامعا بكل ما تشتمل عليه بلاد نورالدين موضحا له ان((المراد هو كل ما يقوي الدولة ..... ويفتح البلاد ، وانه لا يتمكن من الصليبيين وهو في مصر لبعد المسافة ، وانقطاع العمارة ، وكلال الدواب))[١١] .

وبعد ان وحد صلاح الدين البلاد الاسلامية بذل ((الجهد في اقامة قانون الجهاد))[١٢] ، ونازل الصليبيين في اكثر من موقعه وأخذ ((يصول ويجول بجنوده على الافرنج حتى دوخ بلادهم))[١٣] ، وتمكن في مدة وجيزه ان يحرر معظم المدن الاسلامية وعلى رأسها بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ [١٤].

اصاب النصارى في اوربا روع عظيم عند سماعهم بأخذ المسلمين لبيت المقدس ، فجهزوا حملة صليبية حشدوا فيها كل رجالهم وحتى بعض نسائهم وخرجوا الى ديار المسلمين للقتال ، وقد اسفرت هذه الحملة عن أحتلال مدينة (عكا) من جديد سنة ٥٨٥هـ [١٥].

عقد الصليبيون هدنة مع صلاح الدين كان من اهم بنوده أن يبسط الفرنجة نفوذهم على المدن الساحلية التي بأيديهم من صور الى يافا ، وله ما يقابلها من البلاد الجبلية ، وقد تم الامر على هذا وعاد السلطان صلاح الدين الى دمشق بعد غياب دام اربع سنين [١٦] .

وفي سنة ٥٨٩ هـ توفي صلاح الدين ، فاستعر بن ذويه وابنائه صراع حول السلطة مما أتاح للصليبيين ان يحققوا عددا من المكاسب اذ بقيت مدينة (عكا) بايديهم حتى سنة ٦٤٣هـ [١٧].

وقد ظل بنو ايوب سائرين في خلافاتهم الى ان تمكن المماليك من الاطاحة بهم، ليواصلوا معارك تحرير المدن الاسلامية اذ كانت نهاية الصليبيين في بلاد الشام وطردهم من اخر معاقلهم في عكا على يد الملك الاشرف خليل بن المنصور قلاوون سنة ٦٩٠هـ [١٨] .

كان لاحدث الصراع هذه اصداء واسعة عند شعراء الشام اذ تحدثوا عن الحروب الصليبية والاحداث التي تعاقبت على المدن الاسلامية والاجواء التي سادت فيها منذ البداية وحتى النهاية وعاشوا معها كل مراحلها وتطوراتها ، ووصفوا المعارك الكبيرة التي خاضها قادة المسلمين لاسترداد مدنهم ومقدساتهم ، وقد شاركهم في ذلك شعراء من بلاد اسلامية أخرى بدافع شعورهم بالوحدة الاسلامية بين

المسلمين ، ومن هؤلاء : الملك الصالح طلائع بن رزيك ، والقاضي السعيد بن سناء الملك ، وابو المظفر الابيوردي ، ونجم الدين يوسف بن الحسين من مصر ، وأمين الدولة محمد بن عبدالله التعاويذي من العراق وغيرهم .

وسوف أدرس هذا الشعر ضمن محورين كبيرين هما :

- موقف الشعر من احتلال المدن الاسلامية
- وصف عظمة الفتوحات الاسلامية

موقف الشعر من أحتلال المدن الاسلامية

تنبه الشعر منذ وقت مبكر الى الخطر الذي يمثله الوجود الصليبي على الاسلام: عقيدة ، وانسانا ، وارضا ، وصور ما اصاب المدن والحواضر الاسلامية من تدمير وتخريب وما حل بمقدسات الاسلام من امتهان وازدراء ، وعاش معها كل مراحلها وتطوراتها المختلفة ، وقد حمل الشعراء على عواتقهم عبء الدعوة الى الجهاد ومقاومة المحتلين ، والدعوة الى الاخذ باسباب القوة وتوحيد الجهود الاسلامية المشتتة ، لمقاومة العدو المشترك الذي جاء ليقضي على المسلمين واحتلال ديارهم ، فكان الشعر في هذه الفترة صادق العاطفة لما يختلج في نفوس الشعراء من صدق واخلاص ، وبغض الاعداء ، ورغبة ملحة في تحقيق اماني الشعب وتطلعاته في استعادة بلاده وتطهيرها من رجس الصليبيين .

حين شاع خبر مجيء الصليبيين الى بلاد الشام سنة ٤٩٠ هـ كانت البلاد الاسلامية مفككة الاوصال ، لانشغال امراء المسلمين بالمنازعات التي كانت دائرة فيما بينهم ، ولم يجهزوا انفسهم لملاقاة الجيوش الغازية دق ابن الخياط

الدمشقي ناقوس الخطر والذي يتمثل بالوجود الصليبي في البلاد الاسلامية في قصيدة حاول فيها تحريك همة عضب الدولة زعيم الجيوش في دمشق يحثه فيها على اعداد العدة للجهاد ومقاومة الغزاة . يقول:

أنوما على مثل هد الصفـاة   وهزلا وقد اصبح الامر جـدا
وكيف تنامون عن اعـين   وترتم فاسهرتموهن حقـدا
بنو الشرك لا ينكرون الفساد   ولا يعرفون مع الجور قصدا
فحاموا عن دينكم والحـرم   محاماة من لا يرى الموت فقدا
وسدوا الثغور بطعن النحور   فمن حق ثغر بكم أن يسـدا[١٩]

وكـان ابـن القيسـراني علـى وعـي تـام بالعداوة المتأصـلة فـي نفوس الافرنـج علـى الاسلام واهله ، فصور تحفزهم على قتل المسلمين ، وامتلاك اموالهم عندما غزو دمشق سنة ٥٢٣هـ . يقول :

سروا لينتهبوا الاعمار فانتهبوا   قتلا ويغتنموا الاموال فاغتنم[٢٠]

وقـد عبـر عبـدالمنعم الجليـاني تعبيـرا صـريحا عمـا كـان يضـطرم فـي نفـوس الصـليبيين من كراهة شديدة للمسلمين ، حتـى انهم طمعوا فـي اسرهم وسبيهم ، فاصـطحبوا معهم التجـار ليبيعـوهم فـي اسـواق النخاسـة ، وكمـا صـور الشـاعر مطامعهم في امتلاك المدن الاسلامية وانتهاب خيراتها ، وفي ذلك يقول :

أتوا بحبال أبرمت لآسرانا فسقناهم فيها قطينا مجددا
وساموا تجارا تشترينا غواليا فبعناهم بالرخص جهرا على الندا
وقد أقطع الكند العراق موقعا فأودع سجنا وسط جلق مؤصدا
واقسم ان يسقي بدجلة خيله فما ورد الآردن الا مصفدا(٢١)

ووجه ابن قسيم الحموي الانظار الى مطامع ملك الروم في امتلاك بلاد الشام كلها عندما هاجم حصن (شيزر)(*) وحاول احتلال حماة سنة ٥٣٢ هـ. يقول:

وما جاء ملك الروم الا ليحتوي حماة وما يسطو على الآسد الكلب
اراد بها ان يملك الشام عنوة وقد غلبت عنه الضراغمة الغلب(٢٢)

أخذ الصليبيون يهيبون بالمسلمين للنهوض ودفع العدوان ، ولكنهم يتقاعسون في اول الامر ، ويتركون للافرنج حرية الاستيلاء على مدنهم والتمثيل باهلها ، وهكذا احتل الصليبيون (معرة النعمان)(*) في سنة ٤٩٢هـ ويقتلون من اهلها جمعا كبيرا ، وقد ذكر ابن الاثير ان عدد القتلى زاد على مائة الف(٢٣) . وأورد ستيفن رنسيمان في تاريخه أن الصليبيين عندما دخلوا هذه المدينة ((امعنوا في قتل كل من يصادفهم ، واقتحموا الدور ونهبوها واحرقوها ، أما اللاجئون الذين ارتكنوا الى حماية بوهمند فأن الرجال منهم لاقوا مصرعهم فعلا ، بينما تقرر بيع النساء والاطفال رقيقا))(٢٤) . وقد اثرت هذه الافعال الشنيعة

على الشاعر وجيه بن عبدالله بن نصر التنوخي ، فقال ابياتا حزينة يرثي بها معرة النعمان ويندب حظها العاثر :

هذه بلدة قضى الله يا صا ح عليها كما ترى با لخراب
فقف العيس وقفة وابك من كان بها من شيوخها والشباب
واعتبر ان دخلت يوما اليها فهي كانت منازل الاحباب(٢٥)

فالابيات ترسم بوضوح الفواجع التي حلت با لمدينة ، ونجد أن الشاعر يبكي بحرقة ويتأسف على ضياعها ويطلب من غيره ان يشاركه حزنه وألمه وبكاءه على قتلى المدينة من الشيوخ والشباب ويطلب من الجميع ان يعتبروا بما جرى لغيرهم من القتل والتدمير ، فالعاقل من يتعظ بغيره ولعل في هذا المعنى اشارة الى شدة التدمير والخراب الذي حصل في المدينة .

وقد أرتأى بعض الشعراء طريقة أخرى في رثاء المدن من خلال توظيف صورة (الطلل) القديم والبكاء على الديار ، اذ وقف الشاعر ابو بشر بن الحواري بالمعرة بعد هجوم الفرنجة عليها ، فهاجت مشاعره ، وقال يرثيها :

أهذه بين انكاري وعرفاني مسارب الوحش ام داري وأوطان
فجعت أسألها والدمع منسكب والقلب في لوعة من وجده عان
جهلتها ولقد ابدت ملاعبها عهد الصبا بين اخواني وخلان
يا دار ما لي ارى الايام قد حكمت فينا وفيك بحكم الجائر الجان
فلو أجابت لقالت هكذا فعلت قدما بجيرة نعمان ونعمان

وفي مدائن نوشروان معتبر   للسائلين وفي سيف وغمدان
فاذهب لشأنك فالدنيا لها دول   تمضي وتأتي وكل بنيها فان[٢٦]

عبر الشاعر عن انفعالاته وقد وجد نفسه امام صورة فناء ضمت الانسان ومعالم العمران معا ، وقد تراءت فيها (المعرة) وهي مجسدة في داره في صورة (طلل) من غير ان يأخذ برسم الصور الحسية في حين يقوم البيتين الاول والثاني على مسلك تعبيري من خلال حوار داخلي تفصح به همزة الاستفهام التي خرجت من معناها الحقيقي لتدل على الانكار والتكذيب الرافض لما يعانيه الشاعر ، غير ان هذا الانكار والتكذيب سرعان ما يتلاشى في الابيات الاخرى ، فقد صار الحوار بين الشاعر والديار التي اصابها الخراب وهنا يتضح الاحساس بالتحول السلبي في حركة الزمن وفعله الجائر في قوله ((الجائر الجاني)) ، ويلجأ الشاعر الى اسلوب تقريري يذكر فيه بعض مظاهر العظمة الزائلة لا على سبيل التحسر والتوجع فحسب ، وانما يشير الى أن ما حل بالمعرة هو حلقة في سلسلة الهدم الذي يمارسه الزمن على الحضارة الانسانية . وقد أقام الشاعر مقابلة واضحة بينه وبين الديار المهدمة، فربطها بماضي عمره (عهد الصبا) ليدل على الفناء شمل جزءا من حياته ، وقرن تأثير الايام في الديار بتأثيرها في نفسه والاخرين في قوله ((حكمت فينا وفيك)) ،ولكن هذه المقابلة انتهت الى انفصال تنسحب فيه الديار الى الفناء والتلاشي ، ويمضي الشاعر الى العمل والحياة من خلال قوله : ((فاذهب لشأنك)) لتبدأ دورة أخرى من دورات الوجود الانساني .

ومثل هذه المواقف الطللية تكررت عند بعض الشعراء الذين كانوا يمرون بالمدن الاسلامية بعد

احتلالها ومثال ذلك ايضا ما قاله عبدالله بن رواحة الحموي عندما زار عسقلان اذ ندبها في مقطوعة شعرية عبر فيها عن ألمه وحزنه عليها ، ومما عمق هذه الاحزان مرأى قبور الشهداء الذي سقطوا على أرضها ، ومنظر المسلمين ، وهم يعانون المسكنةوالذميمة يقول :

مررت بعسقلان وقد رمتـها يدالحدثان بالسهم المصـيب
فأبكتني على الاسلام ديـنا خلاف بكا الحبيب على الحبيب
وكم في التراب فيها من شهيد وكم في الاسر فيها من غريب[٢٧]

ولما دخل الصليبيون بيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ بعد حصار طويل فعلوا بالمسلمين افعالا شنيعة دلت على مدى حقدهم الهائل على المسلمين ، قال أبن الاثير وهو يصف المذبحة التي ارتكبوها بحق المسلمين : ((وقتل الفرنج بالمسجد الاقصى ما يزيد على سبعين الفا ، منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ، ممن فارق الاوطان وجاور بذلك الموضع الشريف))[٢٨] .

كان لاحتلال بيت المقدس دوى عظيم في نفوس المسلمين عامة، والشعراء على وجه الخصوص اذ ألهب عواطفهم ،وأجج الحزن في نفوسهم بقصائد باكية تحسروا فيها على ما حل بالمسلمين ومدينتهم المقدسة من تدمير وقتل وتشريد

كما تحدثوا عن أفعال الافرنج ومعايبهم ، وأستهتارهم بمقدساتهم وحرماتهم ، فتخريب بيت المقدس ليس بالامر الهين على المسلمين اذ فيه ثالث الحرمين الشريفين ، وهو مسرى الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه واله وسلم، فقال بعضهم :

أحل الكفر بالاسلام ضيما   يطول عليه للدين النحيب
فحق ضائع وحمى مباح   وسيف قاطع ودم صبيب
وكم من مسلم امسى سليبا   ومسلمة لها حرم سليب
وكم من مسجد جعلوه ديرا   على محرابه نصب الصليب
دم الخنزير فيه لهم خلوق   وتحريق المصاحف فيه طيب
أمور لم تاملهن طفل   لطفل في عوارضه المشيب
أتسبي المسلمات بكل ثغر   وعيش المسلمين اذا يطيب
اما لله والاسلام حق   يدافع عنه شبان وشيب
فقل لذوي البصائر حيث كانوا   اجيبوا الله ويحكم اجيب[٢٩]

نلاحظ ان الشاعر رسم بوضوح ضروب الفواجع التي حلت بالمدن الاسلامية ، والعداء الذي يملأ قلوب الفرنجة على الاسلام وأهله وسعيهم الدؤوب لتغيير معالم الحضارة الاسلامية في المدن التي يستولون عليها اذ استهل ابياته بمقدمة مفجعة بين فيها أن الكفر قد أوقع الضيم بالاسلام مما يستوجب العويل والبكاء لهول ما حدث ثم يورد بالتفصيل أنواع الضيم الذي ذكره في البيت الاول ، فيذكر

أن حقوق المسلمين قد ضاعت وأن حماهم قد أستبيح ، وأن دمائهم تتدفق بغزارة من كثرة القتلى ، ولم يقف الامر عن هذا الحد فحسب ، بل تعداه الى ما هو أسوأ من ذلك ، اذ تحولت المساجد الى كنائس تعلق في محاريبها الصلبان ، وتذبح فيها الخنازير المحرمة ، وتحرق المصاحف في المساجد وقد أراد الشاعر أن يعبر في هذا البيت عن كثرة هذا الفعل القبيح الذي يفعله الافرنج في مساجد المسلمين وانتشاره ، فذكر أن الذي يراهم وهم يفعلون ذلك يتصور انهم يتخذون من دم الخنزير طيبا وعطرا يتطيبون به ، وأن دخان النار الذي يتصاعد من أوراق المصاحف بخورا يطيبون به أنفسهم ، وهذا الامر المؤلم فيه ذل للمسلمين ، وفي البيت الذي بعده يذكر ان هذه الاحداث لو تأملها وعرفها الاطفال لشابت رؤوسهم هولا وجزعا لعظم المصاب .

وفي البيت الاخير يثير الشاعر همة المسلمين ونخوتهم للدفاع عن الاسلام وحماية أهله ، ويطلب من المسلمين اجابة داعي الجهاد بأسرع ما يمكن . وتتضح في سياق هذه الابيات اللمحات التصويرية المتتابعة ذات دلالات متضادة تعمل على تجسيد المفارقة بين الماضي والحاضر من خلال التشكيلات اللغوية التنافرية التي تستندعلى المتقابلات الحسية والمعنوية مثل:((الاسلام ، الكفر ، المسجد ، الدير ، المحراب ، الصليب ، دم الخنزير ، خلوق ، تحريق المصاحف ، طيب)) ويعضد هذه الصور الصيغ الانشائية ، وبنية التكرار بأبعادها التأكيدية ، والايقاعية .

وفي سنة ٦١٤هـ تعرضت منطقة حوران لاجتياح صليبي شامل وأمتد هذا الاجتياح الى المناطق الجنوبية من الاردن ، وقد قال الشاعر ابن عقيل الذزرعي قصيدة طويلة في رثاء حوران وما جاورها من البلدان ، مطلعها :

جار الزمان على سكان حورنا لاكان دهر قضى بالجور لا كانا [٣٠]

ولدت هذه الكارثة في نفس الشاعر شعورا حادا بالهدم الحضاري وأحساسا عميقا بالخطورة التي يمثلها العدوان الصليبي على بنية المجتمع الاسلامي ، فعلى مستوى الدوال المفردة حضرت في القصيدة بكثافة الكلمات التي تنتمي الى حقل (الخراب) ، وما يتصل به من التبادل وأنقلاب الاحوال ، مثل الدوال الاسمية:((الجلاء، الدمن ، البوم، الغربان، الاطلال، النوى، القتل، النهب)) والدوال الفعلية التي تجسد أحداث التدمير : ((درست ، أقوت، خوت ، هد، شل، اغتال)) أما على مستوى التصوير فقد الح الشاعر على مشاهد الارتحال الجماعي ، وهجرة الناس ديارهم الى الاقطار المجاورة ، والدمار الذي لحق بالبلاد جراء ذلك كما في قوله :

صاح الجلاء بهم صوتا فما لبثوا ان جاوبوه جماعات[٣١] ووحدانا
فأصبحت دمنا تلك الربوع لهم وبدلت بعدهم بوما وغربانا
ظننت أن قراهم بعدما درست أطلال مي وأني كنت غيلانا [٣٢]

ثم يصور الشاعر في قصيدته الهلع الذي أصيبت به النفوس من تغلب الفرنجة، وترصدهم بالمسلمين ، والفتك بهم ، مما أضطرهم الى ترك ديارهم بحثا عن الملاذ الامن . يقول :

تفرقوا بالفلا ايدي سبا فثوى   نجع بمصر ونجع حل حرانـا
وما استقلوا الى ان قل صبرهم   وكابدوا المحل في الاوطان احيانا(٣٣)

وبعد هذه الابيات يعبر الشاعر عن اتساع الايقاع التدميري في النص ،فيمتد الى اجزاء واسعة من ديار الشام –وهنا –يميل الشاعر الى السرد والتفصيل اكثر من ميله الى التركيز ،فيذكر بعض المواقع والبلدان التي شملها العدوان ،وهدم معالم العمران فيها :

واندب قصورقرى حوران حين خلت   وعوضت بعد سكنى الانس جنانا
خوت عروش بها كانت مرفعة   مجدا وجفت عروس كن صنوانا
كم بين بصرى من الرمثا الى طفس   من الخراب الى ماحول نجرانا(٣٤)
ولست انسى حبالا والسراة وما   اصاب ماب الى ما حول عمانا
وبعد هذا اتى ما لا مرد لـه   من الفرنج الـى غوري بيسانا
اسراً وقتلاً ونهباً حين اذكره   يهيج تذكاره للقلب احزانـا(٣٥)

وهذه الفاعلية التدميرية لم تكن مقصورةعلى المكان وحسب ، وانما امتدت لتشمل الانسان المسلم والقيم التي يمثلها ،وفي ذلك يقول :

كم قرية كان في اكنافها نفر يمشون نحو العلا شيباً وشبانا
شم الانوف سراة سادة نجباً في السلم والحراب اجواداً وشجعانا
من كل ابلج وضاح الجبين اذا بلوته كان مطعاماً ومطعانا
يقول من مات منا كان اسعدنا وكل من عاش منا كان اشقانا[٣٦]

وفي سنة ٦١٦ هـ شاء الله ان يضعف حال المسلمين ،بعد ان كانوا استردوا المسجد الاقصى ايام صلاح الدين ،فيحاصرهم الافرنج ويضيقون عليهم الخناق سعياً منهم الى احتلال بيت المقدس من جديد ،وذلك ايام الملك المعظم عيسى صاحب دمشق ،فاقدم على هدم اسوارها وتخريب بيت المقدس ،لكي يتسلمها الفرنجة وهي خراب لاينتفعون بها كثيراً [٣٧] .وعندما توفي الملك المعظم سنة ٦٢٤هـ تفرد اخوه الكامل في تدبير شؤون بني ايوب ،وفي عهده زار فردريك الثاني القدس سنة ٦٢٦هـ واخذها سلماً بعد مفاوضات وافق فيها الكامل على تسليم المدينة دون سور ،وقد اثار هذين الحدثين سخط المسلمين ونقمتهم ،كما كان لهما اصداء واسعة في الشعر عامة اذ ذم الشعراء هذا الفعل وقيلت فيه عدة قصائد كلها تحمل وتهول هذا الفعل [٣٨] وقد شارك في رثاء المدينة شعراء من اقطار مختلفة تجمعهم قواسم مشتركة فهم جميعا يقدمون المدينة المقدسة في هالتها الدينية ،ويصورون الاخطار المحدقة بها ،والدمار والتخريب الذي لحق بها

بلغة انفعالية تعبر عن احزانهم والامهم على ما حل بها ،ومن جملة هذه القصائد قصيدة لمحمد بن مبارك القرقسائي الخطيب ببيت المقدس اذ فتح قصيدته على وصف وقع الحادثة في نفوس المسلمين ،وتصوير الاجواء التي خيمت على المدينة .يقول :

مصاب القدس قد سلب الرقادا وقد لبس الخطيب به حدادا
وقاضيه قضى نحباً وان لم يمت الخراب ما اعلى وشادا[٣٩]

ان حالة الحزن التي سادت في فاتحة النص ادت الى مسلك تعبيري يعتمد فيه الشاعر على ايراد الصور المتلاحقة التي تصف الدمار والخراب الذي اصاب المدينة . يقول :

ونادي المسجدالاقصى أيرضي بهذا الفعل من فرض الجهادا
ومنبره الشريف يئن خوفاً ومماحل بالمحراب مادا
ولا ترقى لصخرته دموع فكم قد اقرحت اسفاً فؤاده
ولازم باب رحمته عذاب وسح الطور ادمعه وجادا
واصبحت المدارس معولات تريق محابر الفتيا المدادا
وبيت خليله وجل لما قد اصاب سواه يرتعد ارتعادا[٤٠]

رسم الشاعر هذه الابيات صورة دينية لبيت المقدس ، وهي صورة مغلفة بمشاعر حزينة ترمي الى تصوير التشويه الذي أصاب معالمها ، وقد استعان الشاعر بوسيلتين لتحقيق ذلك :

الاولى : استثمار الخصائص الدينية للمكان ،والاستكثار من الدوال المكانية التي تستوعب مظاهر القداسة فيها (المسجد الاقصى ،المنبر ،المحراب ، الصخرة ....)

الثانية : استخدام الدوال الاشتقاقية التي تضفي على المكان غلالة من الحزن والكابة ،وتنزع عنه صفة الجمود ،وتجعله يحكي معاناته ويصفها بنفسه (نادى، يئن، ترقي، يرتعد...) ويقابل الشاعر في هذه الصور الحزينة للمعالم الاسلامية صور أخرى تبدو فيها الكنائس في غلالة من الفرح والاستبشار ،اذ قدمها في صورة فتيات حسان استفزتهن نشوة الفرح بما اصاب القدس وغيرها من المدن الاسلامية .يقول

وعند قمامة اليوم التهاني　　　تتيه ككاعب جاءت تهادى
اذا سمعت بدمياط وماقد　　　اشيع تقول بلغت المرادا
ولكن الكنائس ضاحكات　　　تعالى الله يفعل ما أرادا[٤١]

وقد عبر شهاب الدين أبو يوسف بن المجاور عن هذه الحادثة ،فقال :

أعيني لاترقى من العبرات　　　صلي في البكا الاصال بالبكرات

لعل سيوف الدمع يطفئ فيضها		توقد مافي القلب من جمرات
ويا قلب أسعرنار وجدك كلما		خبت بادكار يبعث الحسرات
ويا فم بح بالشجو منك لعله		يروح ما ألقى من الكربات
وعلىالمسجدالاقصى الذي جل قدره		على مواطن الاخبات والصلوات
على منزل الاملاك والوحي والهدى		على مشهد الابدال والبدلات
على سلم المعراج والصخرة التي		انافت بما في الارض من صخرات
على القبلة الاولى التي اتجهت لها		صلاة البرايا في اختلاف وجهات
لتبك على القدس البلاد بأسرها		وتعلن بالاحزان والترحات
لتبك عليها مكة فهي اختها		وتشكو الذي لاقت الى عرفات
لتبك على ماحل بالقدس طيبة		وتشرحه في اكرم الحجرات
فمن لي بنواح ينحن على الذي		شجاني بأصوات لهن شجات
يرددن بيتاً للخزاعي قاله		يؤبن فيه خيرة الخيرات
مدارس أيات خلت من تلاوة		ومنزل وحي مقفر العرصات[٤٢]

نلاحظ ان هذه القصيدة تتناسب كثيراً والموقف الذي قيلت فيه ، فقد نشر الشاعر في مستهلها جواً من الحزن والبكاء ، واستخدم على نحو مكثف الكلمات التي تنتمي الى محور الحزن ،واستعان في ذلك بمعجم (مائي) يصور غزارة الدموع ويحيلها الى سيول متدفقة ، ومعجم (ناري) يجسد فيه الاسى واللوعة ويقدمها في صورة نيران متأججة معبراً عن ذلك بأساليب انشائية تفصح عن مشاعره ونفعالاته والامه ،في حين تظهر صورة بيت المقدس في نسق متألف من

المعاني الدينية التي تصور فضائل هذه المدينة ومكانتها في العقيدة الاسلامية ،ومال الشاعر الى استخدام العبارات التقريرية المعززة بالمنبهات الاسلوبية مثل التقطيع العمودي ،والتكرار ،فكانت الابيات ضربا ً من الحديث العاطفي المباشر والتغني الحزين بماثر هذه المدينة ،فالشاعر يبكي بحرقة ويطلب من الاخرين ان يشاركوه حزنه وألمه ، وهو بهذا يستثير مشاعر المسلمين ،فالموقف يستحق البكاء والالم ،بل انه يطلب من مكة والمدينة ان يشاركا اختهما القدس في مصابها ،بل ان البلاد كلها مطالبة بأن تعلن عن حزنها ومصيبتها في ضياع بيت المقدس ،وينهي الشاعر قصيدته – كما بدأها –بالبكاء وهنا يقتبس بيتا ً من تائية دعبل الخزاعي في رثاء ال البيت عليهم السلام اذ منحت أبيات قصيدته فضاء ا ً شعريا ً واسعا ً ، لتقارب المنطلقات وبما يؤكد فكرته .وكانت عاطفة الشاعر صادقة جياشة انعكست على كلماته ،فجاءت بعيدة عن التعقيد والتكلف مما جعلها تؤدي دورها كاملا ً في التاثير على المتلقين من خلال توسله بأساليب فنية مؤثرة مثل : التشخيص، والتكرار ،الذي جاء به لغرض تقوية المعنى وتقريره في ذهن السامع ،وكذلك التدرج من العموم الى الخصوص كما في قوله ((البلاد بأسرها ،مكة، عرفات، اكرم ، الحجرات)

أدرك الشعراء ان ضعف المسلمين وتفرقهم هو الباب الذي ولج منه الصليبيون الى البلاد الاسلامية ،ومن ثم تعالت دعواتهم الى الاخذ بأسباب القوة والوحدة ، غير ان الشعراء رأوا ان هذه القوة لاتستكمل بغير الوحدة الجامعة بين انحاء بلاد الشام وغيرها من البلاد الاسلامية ، لذلك لم يفتاوا يحثون الامة على ضم صفوفها وحشد قواها ايمانا ً منهم بان ذلك هو السبيل الوحيد لصد المعتدين

وتحرير البلاد منهم وقد اتخذت هذه الدعوات مظاهر شتى منها : استهلال القصائد الجهادية بمطالع تمجد القوة وتتغنى بها ، ففي سنة ٥٣٩ هـ حاصر عماد الدين مدينة (الرها) وكانت هذه المدينة مقدسة عند النصارى ،واستطاع فتحها بعد حصاردام ثمانية وعشرين يوماً ،ولما دخلها ((استباحها ونكس صلبانها وأباد قساوسها ورهبانها وقتل شجعانها وفرسانها وملأ الناس ايديهم من النهب والسلب)) [٤٣] ،وقد مدحه ابن القيسراني بقصيدة افتتحها ببيت مجد فيه الاحتكام الى السيف في مقارعة الاعداء . يقول :

هو السيف لايغنيك الاجلاده   وهل طوق الاملاك الانجاده
وعن ثغر هذاالنصر فلتأخذ الظبا   سناها وان فات العيون اقتاده[٤٤]

وكان الشعراء يحرضون المسلمين على الجهاد والنهوض لدفع العدوان في كل مناسبة وبشتى الاساليب ،لان قضية استرداد بلاد المسلمين كانت شغلهم الشاغل ،وقد بينوا ان البكاء سلاح غير مجد في خضم هذه الاحداث ، ومن هؤلاء ابو المظفر الابيوردي الذي قال :

وشر سلاح المرء دمع يفيضه   اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فايها بني الاسلام ان وراكم   وقائع يلحقن الذرى بالمناسم[٤٥]

بعد ذلك يستنكر الشاعر على المتقاعسين قعودهم عن نصرة اخوانهم في الشام الذين يقضون اوقاتهم اما على ظهور الخيل دفاعاً عن بلادهم او في بطون النسور التي التهمتهم بعد استشهادهم في سبيل الله ثم يصف الشاعر حال المسلمين وماهم فيه من بؤس وشقاء ،فيذكر ان الروم تسومهم سوء العذاب وتذلهم وتستبيح دماءهم واعراضهم .ثم يذكر ان هذا الموضع يتطلب مشاركة كل المسلمين في الجهاد والذي يتقاعس طلباً للسلامة سيصيبه الندم كثيراً .يقول

وكيف تنام العين ملء جفونها　　على هفوات ايقضت كل نائم
واخوانكم بالشام يضحى مقيلهم　　ظهور المذاكي او في بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وانتم　　تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد ابيحت ومن دمى　　توارى حياء حسنها لابالمعاصم
بحيث السيوف البيض محمرة الظبى　　وسمر العوالي داميات اللهاذم
وبين اختلاف الطعن والضرب وقفة　　تظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروب من يغب عن غمارها　　ليسلم يقرع بعدها سن نادم(٤٦)

وانهى الشاعر قصيدته باستثارة همة المسلمين للنهوض ودفع العدوان ،ويوجه النداءات اليهم ،لعلها توقضهم من هموم الالف والعادة ،وتحرك حميتهم للدفاع عن الاسلام اذ يقول:

ارى أمي لايشرعون الى العدا　　رماحهم والدين واهي الدعائم

يجتنبون النارخوفاً من الردى ولايحسبون العار ضربة لازم
أرتضى صناديد الاعاريب بالاذى ويغضي على ذل كماة الاعاجم
فليتهم اذا لم يذودا حمية عن الدين ضنوا غير ة بالمحارم
وان زهدوا في الاجراذا حمس الوغى فهلا أتوه رغبة في المغانم
لئن اذعنت تلك الخياشيم للبرى فلا عطسوا الا باجدع راغم[٤٧]

يعبر الشاعر في ابياته عن احاسيسه ومشاعره التي يثيرها في نفسه اعتداء الصليبيين على امته وبلاده ، اذ نوع استخدام العناصر التحريضية تنويعاً يتناسب مع احوال المخاطبين والتي كان يرمي من وراءها الى اثارة حمية المخاطبين ،ودعوتهم الى الجهاد والتي جاءت في سياق من الصيغ الانفعالية ، ومن ثم ذيل الشاعر الابيات ببيت ضمنه دعاء شرطياً على هؤلاء المتخاذلين وهو دعاء في واقعة لايحمل على المعنى الظاهر ، وانما هو حقيقته انذار قائم على التنبوء بالاخطار التي ستحدق بهم والمصير الذي ينتظرهم ، وبعد ذلك تتجه القصيدة صوب النهاية فيذيلها الشاعر بثلاثة أبيات جعلها خاتمة لها ، وذلك في قوله :

دعونا كم والحرب ترنو ملحة الينا بالحاظ النسور القشاعم
تراقب فينا غارة عربية تطيل عليها الروم عض الاباهم
فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه رمينا الى اعدائنا بالحرائم[٤٨]

فالشاعر يصطنع في البيتين الاول والثاني الالفاظ الموحية بالقوة لعلها تستثير همة النفوس المستكينة الا ان شدة الاحداث حدت من هذه الروح القوية ،فيقرر الشاعر في بيته الاخير على نحو مؤلم ان النساء المسلمات سيصبحن سبايا في أيدي الاعداء ان تخاذل المسلمون عن الدفاع عنهن ،وتجدر الاشارة الى ان الشاعر في هذا البيت لم يقف موقفاً انهزامياً وانما أراد من هذه الطريقة في التعبير ان يؤجج في نفوس سامعيه النخوة والحمية وتثبيت العزم واشتجاشة القوة . وقد خصص للحث على الجهاد أشعار مستقلة منها ((الدوبيتات)) التي نظمها العماد الاصفهاني بطلب من نور الدين ،ولعلها كانت تشبه الاناشيد الجماعية في ايامنا ،ومنها قوله :

لاراحة لي في العيش سوى أن أغزو سيفي طرباً الى الطلى يهتز
في ذل ذوي الكفر يكون العز والقدرة في غير جهاد عجز[٤٩]

كان الحديث عن فتح القدس مستقبلا ديدن كل شاعر ،وعندما حمل صلاح الدين الايوبي راية الجهاد كثر الحاح الشعراء عليه وحثهم اياه على مواصلة الجهاد ، وتطهير المسجد الاقصى فأشادوا بجهاده ووصفوا معاركه في ارض الشام ،وتغنوا بانتصاراته ،ولم يتركوا مناسبة دون ان يستحث فيها على تحرير المدن المحتلة وتقتيل الصليبيين وتطهير القدس من اوضارهم ،وتخليص البلاد الاسلامية منهم ، ونجد مثالا لهذا ما قاله العماد الكاتب في قصيدته التي يمدح فيها صلاح الدين يحثه فيها على اخذ بيت المقدس :

فصبوا على الافرنج سوط عذابها   بان يقسموا مابينها القتل والاسرا
ولا تهملوا البيت المقدس واعزموا   على فتحه غازين وافترعوا البكرا
تديمون بالمعروف طيب ذكركم   وما الملك الا ان تديموا لكم ذكرا(٥٠)

ومن الصفات التي مدح بها صلاح الدين صفة الكرم والعفو عند المقدرة، والقيام بأمر الدين خير قيام ،واضعافه من شأن الفرنجة ، وانصاف اهل التوحيد ، وهذه المعاني نجد ها في قصيدة الشاعر يوسف بن الحسين بن المجاور والتي يقول فيها :

ملك اذا ام الملوك جنابه   لاذوا بأكرم من يؤم وأشرف
واذا أتوا أسرى الى أبوابه   وقفوا بأعظم من يصول وأرأف
مولى غدا للدين أكرم والد   حدب على أبنائه مترفرف
عزل الفرنجة ثم ولى جيشه   أعظم به من صارف ومصرف
قد أنصف التوحيد من تثليثهم   وأقام في الانجيل حد المصحف (٥١)

وممن مدح صلاح الدين ايضاً اسامة بن منقذ بقصيدة لم يخرج فيها كثيراً عن الشعراء السابقين في تكرار معظم الاوصاف التي قالوها ، اذ وصفه بنصرة الدين في الوقت الذي تخاذل فيه الكثيرون عن نصرته ،و ان قيامه بأمر الدين حقق للمسلمين النصر على أعدائهم . يقول :

ياناصر الاسلام حين تخاذلت   عنه الملوك ومظهر الايمان

بك قد أعز الله حزب جنوده   وأذل حزب الكفر والطغيان(٥٢)

كما مدح فيه سبط ابن التعاويذي صفة الغضب لدين الله ، فقال :

وغضبت للدين الحنيف ولم تزل   في الله ترضى منذ كنت وتغضب
غادرت أهل البغي بين مجدل   لقي الحمام وخائف يترقب(٥٣)

ومن الصفات الجديدة في المدح ماورده اسامة بن منقذ صفة بذل الاموال الطائلة للانفاق على تجيزات القتال، وفي الصرف على المجاهدين ،اذ كانت الاموال قبل صلاح الدين محفوظة في الخزائن لايسمح لها بالخروج . يقول :

وبذلت أموال الخزائن بعدما   هرمت وراء خواتم الخزان
من جمع كل مجاهد ومجالد   ومبارز ومنازل الاقران
من كل من يرد الحروب بأبيض   عضب ويصدر وهو احمر قان
ويخوض نيران الوغى وكأنه   ظمآن خاض موارد الغدران(٥٤)

فاق صلاح الدين الايوبي الجميع في كثرة ماقيل فيه من شعر وقصائد ملحمية خلدت أمجاد هذا الرجل العظيم ، لانه استطاع أن يضعف من شأن الصليبيين ، وأن يتم على يديه فتح بيت المقدس ، ويهئ لمن يأتي بعده امكانطردهم نهائياً من بلاد المسلمين .

وصف عظمة الفتوحات الاسلامية

صور الشعراء في سياق حديثهم عن الحروب التي خاضها المسلمين لاسترداد المدن والمواقع المحتلة حرص الفرنجة على توفير أسباب المنعة والحماية لها بعد الاستيلاء عليها اذ صور ابن عنين الاسوار المنيعة التي أقامها الافرنج حول مدينة (قيسارية) [*] ،والابراج التي علته في قوله :

ولقد شهدتك يوم قيسارية والشمس قد نسج القتام لها ردا
والكفر معتصم بسور مشرف الـ أبراج احكم بالصفيح وشيدا[٥٥]

ووصف ابن القيسراني باسلوب بياني منعة مدينة (الرها) وقوة اسوارها وتحصينها ،وكثافة الاسلحة التي اقيمت حولها ،وذلك في قوله :

وقد قلدوا السيف تحصينهم ولكنه الناصر الخاذل
شققتم اليها بحار الحد يد ملتطماً موجه الهاطل
وخضتم غمار بالردى وعن نفسه يدفع القاتل [٥٦]

وغالباً ماكان الفرنجة يقيمون قلاعهم وحصونهم فوق القمم العالية وقد رسم الشعراء لها لوحات فنية متعددة لعل أجملها تلك اللوحة التي وصف فيها الشاعر محمود بن سليمان الحلبي حصن (المرقب) [*]، وعندما فتحه المسلمون استبشروا بهذا الفتح ((لان هذا الحصن كان مضره على المسلمين ،ولم يتفق فتحه لاحد

من ملوك الاسلام))[٥٧] ،وخلد الشاعر هذا الفتح بقصيدة بدأها بوصف الجو العام للمعركة ، فذكر ان الانسان فيها يترقب الموت في كل لحظة والحياة في مثل هذه الجو كريهة وبغيضة لايأمن فيها على نفسه ولايهدأ له خاطر ،ثم ذكر الحصن ومناعته و ووصف السيوف في اثناء المعركة ، وكأنها البرق المتألق وسط الغمام الاسود في اثناء هطول الامطار المتدفقة ، ثم يشبه الشاعر هذا الحصن بعروس ترتدي ثوبا مذهباً لكثرة الاسلحة التي احاطت به وصور علوه ورتفاعه الشاهق ، فهو مرتفع كالسماء لايقدر عليه أحد لمناعته ، وفي ذلك يقول :

ولقد ذكرتك والحياة كريهة والموت يرقب تحت حصن المرقب
والبيض من خلل السهام كأنها برق تألق في غمام صيب
والحصن من شفق والحديد كأنه عذراء ترفل في رداء مذهب
سامي السماء فمن تطال نحوه للسمع مسترقا رماه بكوكب[٥٨]

وقد صور ابن عقيل الزرعي منعه حصن (صرخد) [*] وعلوه الشاهق في قوله :

وسامقة البنيان سامية الذرى يرى دونها في المنعة القطب والنسر
تساوي ثراها والثريا فخاطبت بروج السما اساس ابراجها الغر[٥٩]

وقد وصف الشعراء تحليق مدينة (الرها)في الذرى و استعاروا – في الاغلب – صورة النجم لابراز هذه السمة ، فالرها (أخت الكواكب) و(تفوت مدى الابصار)

،وكانت هذه المدينة من أشرف المدن عند النصارى وأعظمها محلا ، فحاصرها عماد الدين واستولى عليها وكان فتحا عظيما طار في الافاق ذكره ،وطاب بها نشره وأعادها الى حكم الاسلام ،وقد وصف ابن منير الطرابلسي هذا الفتح الذي وقع سنة ٥٣٩ هـ ،فقال عنه :

أين الخلائق عن فتح أتيح لـه   مظل أفق الدنيا جناحـاه
على المنابر من انبائـه أرج   مقطوبة بفتيق المسك ريـاه
فتح أعاد على الاسلام بهجته   فافتر مبسمه واهتز عطفاه
يهدي بمعتصم بالله فتكتـه   حديثها نسخ الماضي وأنساه
ان الرها غير عمورية وكذا   من رامها ليس مغزاه كمغزاه
أخت الكواكب عزا مابغي أحد   من الملوك لها وقما فواتـاه
حتى دلفت لها بالعزم يشحذه   رأي يبيت فويق النجم مسراه
مشمرا وبنو الاسلام في شغل   عن بدء غرس لهم أثمارعقباه[٦٠]

بدأ الشاعر أبياته بالحيث عن عظمة هذا الفتح ،فيقول : أين الناس عن هذا الفتح لم لا يستبشرون به ، وقد ظللت جناحاه أفق الدنيا كلها ؟ ويقول بعد ذلك : ان المنابر قد أمتلأت بأخبار هذا الفتح ،وروت أخباره العطرة الممزوجة برائحة المسك وان هذا الفتح قد أعاد على الاسلام بهجته ،كما أعاد مكانته الاولى وأراد الشاعر بهذا ان يشير الى ماضي المسلمين في بداية الحروب الصليبية عندما كان الصليبيون يستولون على بلاد المسلمين دون مقاومة تذكر ، أما الان

استطاع عماد الدين بهذا الفتح العظيم أن يعيد للاسلام مكانته العظيمة . ثم يجري الشاعر مقارنة بين فتح عمورية في عهد المعتصم العباسي ،وبين فتح الرها ،فيقرر ان هذا الفتح أعم من فتح عمورية ،وأن هذا الفتح أنسى الناس كل فتح قبله .

ويتحدث الشاعر بعد ذلك عن مكانة هذه المدينة وحصانتها ، ليظهر عظمة الفتح اذ يقول :ان هذه المدينة تطاول الكواكب في الارتفاع وهي محصنة جداً يصعب نيلها أو الاستيلاء عليها ، ويذكر ان أحدا من الملوك لم يستطع نيلها لصعوبة ذلك ومع كل هذه الصعوبة استطاع عماد الدين بعزمه ورأيه النافذ ان يستولي على هذه المدينة الحصينة ، ويعيدها للاسلام مرة اخرى ،وهذه المعنى تكرر عند معظم شعراء الشام ومنهم ابن القيسراني اذ يقول :

تفوت مدى الابصار حتى لو انها ترقت اليه خان طرفاً سواده
وجامحة عز الملوك قيادها الى ان ثناها من يعز قياده[٦١]

كانت مدينة (الرها) من أوائل المدن الكبيرة التي استعادها المسلمون من الصليبيين لذا كان حديث فتحها حديثاً يلذ الاسماع ،ويشتهى تكراره في كل حين ، وقد اشار ابن القيسراني الى هذه المعنى بقوله :

وفتح حديث في السماع حديثه شهي الى يوم المعاد معاده
أراح قلوباً طرن عن وكناتها عليها قواف كل صدر فؤاده[٦٢]

جانس الشاعر في البيت الاول بين كلمتي (حديث ، حديث) كما جانس بين كلمتي ((معاد،معاد)) ،وفي البيت الثاني لجأ الى التشبيه اذ شبه قلوب المسلمين بالطيور وهي تقفز فرحا بهذا النصر الكبير . وقد اشار اسامة بن منقذ الى هذا الفتح بقوله :

فتحنا الرها حين استباح عداتنا   حماها وسنى ملكها لهم الختر
جعلنا طلى الفرسان أغماد بيضنا   وملكنا أبكارها الفتكة البكر [٦٣]

وأشار في نهاية القصيدة الى فتح تل باشر ،وتل عزاز وغيرها من القلاع والقرى التي استعادتها من الصليبيين واعادتها الى حظيرة الاسلام . يقول :

ونحن فتحنا تل باشر بعدها   وقد عجزت عنه الاكاسرة الغر
اتى ساكنوها بالمفاتيح طاعة   الينا ومسراهم الى بابنا شهر
وتل عزاز صبحته جيوشنا   فلم تحمه عنا الرجال ولا الجدر
وكم مثل هذا من قلاع ومن قرى   ومزدرعات لايحيط بها الحصر
رددنا على اهل الشام رباعهم   واملاكهم فانزاح عنهم بها الفقر
فنالهم من عودها الخير والغنى   كما نالنا من ردها الاجر والشكر [٦٤]

وحري بنا القول : ان المدينة المفتوحة او العصية عن الفتح تمثلت عند عدد من الشعراء في صورة امرأة ،مما يستدعي صوراً انثوية متعددة مع تباين الصور

بين مدينة واخرى اذ تبدت مدينة (الرها) عند ابن القيسراني في صورة امرأة اذ ظلت مدينة افك على مدى خمسين عاماً ، وكيف ان عماد الدين استطاع فتحها عنوة بعد حصار دام ثمانية وعشرين يوماً [٦٥] . يقول :

مدينة افك منذ خمسين حجة يفل حديد الهند عنها حداده
وجامحتة عز الملوك قيادها الى ان ثناها من يعز قياده
وصدت صدود البكر عند افتضاضها وهيهات كان السيف حتماً سفاده[٦٦]

ولا تكاد تختلف تفاصيل الصورة التي رسمها الشهاب محمود الحلبي لمدينة (طرابلس) بعد ان استردها المسلمون بقيادة الملك المنصور بن قلاوون اذ ظهرت المدينة في صورة فتاة عفيفة ممنعة تعاونت على اقتحامها عزيمة الممدوح وتتابعت فيها الصور الانثوية ، فيصفها بأنها (بكر) وانها لحظة فتحها (انثنت تميد) . يقول :

ممنعه بكر وهل في جميع ما تملكته الا وهي ممنعة بكر
فكم مر من دهر وما مسها أذى وكم راح من عصر وما راعاها حصر
ففاجاتها بالجيش كالموج فانثنت تميد وقد أربى على نحرها السبر
فزلزلتها بالركض فانهد ركنها ولم يبق من دون المنايا لها ستر[٦٧]

وتظهر مدينه (حلب) عند ابن الساعاتي عقيلة بكر ، جميله القد ،أسيلة الخد ، عفيفة ،مصونة عن البذل ، وينفذ الشاعر الى معنى دقيق فهي لم تعص صلاح

الدين تمنعاً وتأبياً ، وانما غضبت وغارت ،لانه اهملها واهتم بغيرها من المدن الشامية . يقول :

هي العقيلة حسناً والزمان بها متيم كلف الاحشاء غير خلي
رشيقة القد لاتسمو اليه يد أسيلة الخد لا تدنو من القبل
بكر المعاقل فاخطبها مكابرة بكل ألمى أصم الكعب معتدل
فما سواك لها بعل وقد عطلت فحلها بتلافيها من العطل
غارت وحقك من جاراتها فشكت ماباله بافتضاضي غير محتفل(٦٨)

أما الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه(*) ،فقد مدح صلاح الدين بقصيدة حثه فيها على أخذ بيت المقدس قال فيها :

جاءتك أرض القدس تخطب ناكحاً ياكفأها ما العذر عن عذرائها
زفت اليك عروس خدر تجتلى مابين أعبدها وبين امائها
ايه صلاح الدين خذها غادة بكراً ملوك الارض من رقبائها
كم خاطب لجمالها قد رده عن نيلها ان ليس من أكفائها(٦٩)

شبه الشاعر بيت المقدس بعروس جميلة ، وقد جاءت تخطب صلاح الدين لينكحها ، وصلاح الدين خير كفء لها ،وقد حثه على الاستجابة لمطلبها سريعا

دون تردد ، لان الكثيرين حاولوا جاهدين أن يحصلوا عليها ويستأثروا بها ،ولكن خابت امالهم ،لانهم ليسوا أكفاء لها .

وقد حاول الشاعر من خلال هذا التشبيه الجميل أن يحبب فتح القدس لصلاح الدين ويحثه على الاسراع في ذلك قدر الامكان ، وقد وفق الشاعر في رسم صور للوصول الى غايته.

وفي سنة ٥٤٤هـ تجهز نور الدين زنكي لقتال الصليبيين في الموضع المعروف بـ (آنب) ،فالتقى بهم وقاتلهم وانتصر عليهم ،وأن يقتل البرنس صاحب انطاكية وكان ((من أبطال الفرنج المشهورين بالفروسية وشدة البأس ، وقوة الحيل ،وعظم الخلقة مع اشتهارالهيبة ،وكثرة السطو ،والتناهي في الشر)) [٧٠] . وقد ذكر ابن منير الطرابلسي هذا الفتح ووصف عظمته ، فقال:

فتح تعممت السماء بفخره وهفت على اغصانها عذباته
سبغت على الاسلام بيض حجوله واختال في اوضارها جبهاته
وانهل فوق الابطحين غمامه وسرت الى سكينها نفحاته
لله بلجة ليل محصت به واليوم دبج وشيه ساعاته
حط القوامص فيه بعد قماصها ضرب يصلصل في الطلى صعقاته
نبذوا السلاح لضغيم عاداته فرس الفوارس والقنا غاياته[٧١]

يصف الشاعر عظمة الفتح وبوادر الغبطة والسرورتظهر في كل كلماته وشعورهبالفرح والخيلاء يملأعليه جوانحه وهذا الفتح افتخرت به السماء قبل

الارض وتعممت به فرحا ً واغتباطا ً ثم يستطرد في وصفه لصورة هذا الفتح فيذكر ان صوت السيوف كانت عالية وهي تنهال على رقاب المشركين وقادتهم . وعندما رأى الصليبيون عظم المصيبة التي وقعوا فيها تركوا اسلحتهم لنور الدين وجيشه اللجب وفروا هاربين .

ووصف الشاعر التدمير الذي احدثه جيوش نور الدين بـ (انطرسوس) (*) و(يحمور) (*) ،وكثرة قتلى الفرنجة فيهما ،وذلك بقوله :

أخلى ديارالشرك من اوثانها   حتى غدا ثالوثهن نكيرا
رفع القصورعلى نضائد هامهم   من بعد ماجعل القصور قبورا
بشواحب الألياط تقطعوا في الظلا م قطعا ً وتهوي في الصباح نسورا
غادرت أنطرسوس كالطرس أمحى رسما ً وحمر درعه يحمورا(٧٢)

وكانت سنة ٥٨٣هـ سنة الفتوحات الاسلامية ، وكان أول هذه الفتوحات هو استرداد (طبرية) ،وقد قال ابن الساعاتي في هذه الموقعة قصيدة مطلعها :

جلت عزماتك الفتح المبينا   فقد قرت عيون المسلمينا(٧٣)

ثم تحدث الشاعر عن هذا الفتح ، ووصف عظمته كما وصف هوان الصليب وذلته بعد عظمته ،ووصف مناعة المدينة وحصانتها مشبها ً اياها بالفتاة العفيفة

الممتنعة عن الخطاب ،الا ان صلاح الدين استطاع ان يصل اليها بالقوة ،وأن يحيل قسوتها الى لين ،فتستسلم وتسلم له قيادها وهذه صورة جميلة أبدع الشاعر وأجاد وذلك في قوله :

وما طبرية الا هدي   ترفع عن الاكف اللامسينا
حصان الذيل لم تقذف بسوء   وسل عنها الليالي والسنينا
فضضت ختامها قسراً ومن ذا   يصد الليث أن يلج العرينا
لقد أنكحتها صم العوالي   فكان نتاجها الحرب الزبونا
قست حتى رأت كفؤاً فلانت   وغاية كل قاس أن يلينا [٧٤]

كما وصف الشاعر حال اهلها ،فقال : ان صباحهم انقلب الى ظلام ،وهذا كناية عن البؤس والشقاء الذي ألم بهم ،كما ان صراخهم وزئيرهم تحول الى أنين خافت وهذا ايضاً كناية عن الذل الذي لحق بهم . يقول :

جعلت صباح اهليها ظلاما ً   وأبدلت الزئير بها انينا[٧٥]

وبعد هذه الموقعه التجأ الصليبيون الى (تل حطين) ،فالتقاهم المسلمون هناك وهزموهم ،ثم تطلع صلاح الدين الى سواحل الشام ؛ ففتح عكا وصيدا وبيروت وتبنين ويافا وأرسوف وغزة وعسقلان .وبعد هذه المعارك المظفرة نهض صلاح الدين الى ((بيت المقدس)) ،فأستنقذه. [٧٦]

رصد الشعراء هذه الانتصارات الا انهم لم يكونوا يخصصون لكل فتح قصيدة ،اذ تغنوا في بعض قصائدهم بعدد منها ،فجاءت قصائدهم هذه معرضاً للانتصارات الاسلامية التي حققها صلاح الدين خلال سنة ٥٨٣ هـ مع التركيز على الفتح القدسي خاصة وعندما فتح صلاح الدين القدس عبر الشعراء عن سرورهم واغتباطهم بهذا الفتح العظيم ،ومدحوا السلطان الذي انقذ مقدسات المسلمين ،وكانت القصائد التي قيلت في هذه المناسبة كثيرة نذكر منها أبياتاً من قصيدة للعماد الكاتب يقول فيها :

رأيت صلاح الدين أفضل من غدا وأشرف من أضحى واكرم من أمسى
وقيل لنا في الارض سبعة أبحر ولسنا نرى الا أنامله الخمسا
سجيته الحسنى وشيمته الرضى وبطشته الكبرى وعزته القعسا(٧٧)

ثم تتجه القصيدة الى مدح صلاح الدين الايوبي بانه وحده دون الناس أستطاع أن يفتح القدس الشريف وأن يطهرها من رجس الصليبيين ،وينزع عنها لباس الشرك ويلبسها لباس الايمان من خلال تجسيد المعنى المجرد ووضعه في صورة حية دالة وقد غلبت المعاني الدينية على الصورة التي رسمها الشاعر للمدينة الاسلامية المحررة اذ قدمها في اطار يصف عودة الشعائر الاسلامية اليها وتطهيرها من الرموز الدينية للصليبيين من خلال هذا الفتح العظيم اذ أستبدل ضرب الناقوس بالأذان فوق المنابر . يقول :

فلا يستحق القدس غيرك في الورى   فأنت الذي من دونهم فتح القدسا
ومن قبل فتح القدس كنت مقدساً   فلا عدمت اخلاقك الطهر والقدسا
وطهرته من رجسهم بدمائهم   فأذهبت بالرجس الذي ذهب الرجسا
نزعت لباس الكفر عن قدس أرضها   وألبستها الدين الذي كشف اللباسا
وعادت لبيت الله أحكام دينه   فلا بطركاً أبقيت فيها ولا قسا
وقد شاع في الافاق عنك بشارة   بأن أذان القدس قد بطل النقسا(٧٨)

كان فتح القدس ذروة الانتصارات التأريخية ،وان الشعر الشامي لايعطي الا صورة جزئية عن المستوى الشعري للقصائد التي قيلت في تخليد هذا الحدث ، فقد شارك شعراء من بلاد أسلامية اخرى منهم :ابن سناء الملك ،والحسن بن علي الجويني ،والشريف النسابة محمد بن أسعد الحلبي المعروف بالجواني ،ويعقوب بن شجاع بن علي أبو شجاع الموصلي ،وابن جبير الاندلسي ،وبعض الشعر قد يتفرد بدقائق لم ينفذ اليها شعراء الشام مثل قول الشريف الجواني :

فتح الشام وطهر القدس الذي   هو في القيامة للأنام المحشر
من كان هذا فتحه لمحمد   ماذا يقال له وماذا يذكر
يايوسف الصديق أنت لفتحها   فاروقها عمر الامام الاطهر
ولأنت عثمان الشريعة بعده   ولأنت في نصرة النبوة حيدر(٧٩)

ولما فتحت القدس لم ينضب معين الشعر عن استشراف المستقبل ،بل وجهوا أنظار صلاح الدين الى أن عليه فتح صور ،صيدا وغيرهما من المدن في

السواحل الشامية فقد دعا العماد الاصفهاني مثلاً الى أنهاء الاحتلال الصليبي لبلاد الشام كافة وان لايبقى احداً منهم فيها :

من بعد فتحك بيت المقدس ليس سوى صورفان فتحت فاقصد طرابلسا
أثر على يوم انطرسوس ذا لجب وابعث الى ليل أنطاكية العسسا
واخل ساحل هذا الشام أجمعه من العداة ومن في دينه وكسا(٨٠)

وكثيراً ماكان الشعراء الشاميون يقارنون بين أحوال مدن بلاد الشام وهي ضعيفة مفككة واحوالها بعد فتحها ويوجهون أنظار الامة الاسلامية الى المكاسب التي تحققت لهم جراء الاخذ بأسباب القوة والوحدة الجامعة بين انحاء مدن الشام ، لذلك لم يفتأوا يحثون الأمة على ضم صفوفها وحشد قواها لمواجهة الغزو الصليبي .فحين أشاد ابو المرهف النمري سنة ٥٨٨ هـ بصلاح الدين رسم صورة زاهية لما آلت اليه المدن الشامية بعد ان تولى هذه القائد أمرها وشد عراها وحصن نواحيها . يقول :

لما ملكت الشام عزت ربوعه   ونـال المنى سكانـه والمؤملا
ازلت به التكدير من كل مورد   وأخصبت منه كل ما كان أمحلا
وأضحى بك الاسلام عزة جانب   كأن له فوق المجرة معتلـى
شددت عراه بعد طول انفصامها   وحصنت منه كل ماكان مهملا (٨١)

وقد قدم الشعراء الانتصارات عند فتح المدن الاسلامية في غلالة من الفرح و الاستبشار ووشيتها بألق وضاء، لترسيخ الاطمئنان في نفوس المسلمين ،ويملأ قلوب الجند ثقة ويبسط ظل المشاركة بالفرح عليهم وعلى ابناء الشعب الذين يحاربون من أجله ،وهذا الجو يصوره ابن القيسراني في قوله :

وفتح حديث في السماع حديثه   شهي الى يوم المعاد معاده
رأح قلوباً طرن عن وكناتها   عليها قواف كل صدر فؤاده
فيا ظفراً عم البلاد صلاحه   بمن قد عم البلاد فساده(٨٢)

وتفنن الشعراء في تقييم هذا الفتح أو ذاك،فهذا ((فتح الفتوح)) وذاك ((فتح اعاد على الاسلام بهجته))، ويعلي الشاعر من قيمة هذا الفتح حين يقرن البهجة به بتجلي جمال الطبيعة ،فيغدو والفرحون به وكأنهم شرب نشاوى يتمايلون نشوة وطرباً كما في قول ابن منير الطرابلسي:

نشرت على حلب عقود بنودهم   حلل الربيع تناسقت زهراته

روض جنـاه لها مكر جياده   واستوأرت حمالة حملاته
متساندين الى الرحال كأنما انتشى   شرب أمالت هامه قهواته(٨٣)

وقد يصبح الفتح خير ما تفتتح بتصويره قصيدة تتحدث عن عظمة الفتح والانتصار ، ورفعة شأنه كما في قول الرشيد النابلسي:

هذا الذي كانت الآمال تنتظر   فليوف الله أقوام بمـا نذر
بمثل هذا الفتح لا والله ماحكيت   في سالف الدهر أخبار ولا سير
الآن قرت جنوب في مضاجعها   ونام من لم يزل حلفاً له السهر(٨٤)

استمر الشعراء بعد عصر صلاح الدين في التحريض على تحرير ماتبقى من المدن الاسلامية داعين القادة المسلمين الى الانتقام من الاعداء ، والفتك بهم .من ذلك قول ابن عقيل الرعي مخاطباً الملك المعظم عيسى بعد فتحه بانياس :

هم شيدوا باطلاً فاهدم قواعدهم   واضرموا قبساً فابعث لهم شهبا
وفرقوا السهم فاجعلهم له غرضاً   واضرموا النار فاجعلهم لها حطبا(٨٥)

وفي بداية سنة ٦٩٠ هـ استطاع الاشرف خليل بن المنصور قلاوون أن يفتح مدينة (عكا) عنوة بعد حصار طويل ،اذ كانت هذه المدينة من المدن الحصينة

،وكان الاستيلاء عليها يعني نهاية الصليبيين في بلاد الشام ،لانها أكبر مدينة باقية لهم وقد وصف الشهاب محمود الحلبي مناعتها وصعوبة الاستيلاء عليها ،وتخطي أسوارها وأبراجها المنيعة، فقال :

سوران بر وبحرحول ساحتها   دارا وأدناهما أناى من القطب
خرقاء أمنع سورياه وأحصنه   قلب الكماة وأقواه على النوب [٨٦]

وبعد هذا الوصف بدأ بالحديث عن الجهد الكبير الذي بذل في حصارها ،وأشاد الى المجانيق التي استعملت في حصار هذه المدينة ،وفتحها. يقول :

وجئتها بجيوش كالسيول على   أمثالها بين آجام من القصب
وحطتها بالمجانيق التي وقفت   أمام أسوارها في جحفل لجب[٨٧]

كما وصف الشاعر في قصيدة اخرى أبراج مدينة (عكا) وهي تهوي بفعل النار التي وضعت في ثقوب الابراج فالتهمتها وأدت الى سقوطها ،وكان وصفه جميلا اذ قال : ان مدينة عكا كانت نصرانية ولكنها تركت دين النصرانية، واتخذت المجوسية دينا ً لها ،فلما شاهدت النار خرت ساجدة لها، وهذه كناية جميلة عن تساقط بروج المدينة واستسلامها، وفي ذلك يقول :

مررت بعكا عند تعليق سورها   وزند أوار النار من تحتها وار

فعاينتها بعد التنصر قد غدت مجوسية الأبراج تسجد للنار[٨٨]

وفي موضع اخر يتحدث الشاعر عن عظمة هذا الفتح واهميته ، فيذكر ان فتح عكا فاق الفتوح التي وقعت قبله ، وان الكعبة الغراء ابتهجت بهذا الفتح ،وان ذكره سار في الارض سير الريح، فابتهج به الجميع :

يايوم عكا لقد أنسيت ماسبقت به الفتوح وما قد خط في الكتب
لم يبلغ النطق جهدا الشكر فيك فما عسى يقوم به ذو الشعر والخطب
فقعينا ً بهذا الفتح وابتهجت ببشره الكعبة الغراء في الحجب
وسارفي الارض مسرى الريح سمعته فالبر في طلب والبحر في هرب[٨٩]

وفي السنة ذاتها اخذ الأشرف صور ،وصيدا ،وغيرهما من المدن الاخرى مثل: بيروت ،وانطرسوس ، وجبيل[٩٠]، وفي سنة ٦٩٢هـ استعاد الأشرف بعض المدن من الصليبيين ،فاستولى على بهنسا من الأرمن ،وباستيلائه على تلك المدن وخاصة (عكا) انتهت دولة الصليبيين في بلاد الشام [٩١]

وهكذا اختتمت حلقة من حلقات الاستعمار الاوربي، وطرد من عكا اخر جندي صليبي ((بعد نضال طويل وكفاح مستمر مرير بدأه عماد الدين زنكي ،وشارك فيه جماعة من الابطال المغاوير ... ثم كان التطهير على يد الاشرف خليل بن قلاوون)) [٩٢]

الخاتمة :

تم في الصفحات السابقة دراسة جانبين من جو انب الشعر الشامي المتصل بالحروب الصليبية ،هما : موقف الشعر من احتلال المدن الاسلامية ، ووصف عظمة الفتوحات الاسلامية وقد بينت الدراسة ان الشعراء الشاميين واكبوا الحروب الصليبية في مراحلها المختلفة ،واظهروا تنبههم منذ وقت مبكر الى الخطر الذي يهدد مدن الشام ،فصوروا الأحداث التي ألمت بها والدمار الذي أصابها، والتشويه الذي لحق معالم القداسة فيها والأخطار التي هددت الانسان ومعالم العمران معاً .

وصور الشعر اهتمام الافرنج بتحصين المدن بعد احتلالها ،واستكثارهم من بناء الاسوار والحصون والقلاع التي شحنوها بالأسلحة لتكون ملجأ لهم عن استشعار الخطر، وظلت أنظار الشعراء تستشرف المستقبل، فكلما تحقق نصر رتبوا عليه نصرا آخر، ومن ثم لم يألوا جهدا في الحث والتحريض ودعوة الأمة إلى مواصلة الجهاد وتحرير البلاد. وبينت الدراسة عناية الشعر بوصف المدن الاسلامية بعد الفتح ،فقد قدم الشعراء الانتصارات الاسلامية في غلالة من الفرح والاستبشار ،ورسم صور تعبر عن اجواء الفرح والحبور التي عمت المدن الشامية ، والربط المتكرر بين المدينة المفتوحة والمرأة.

الهوامش :

(١) ينظر: التاريخ الباهر:٣٢.

(٢) ينظر : الكامل في التاريخ: ١٠/٥٩٤.

(٣) ينظر : قيام الدولة الايوبية في مصر :٣٣.

(٤) تنظر : الامارات الارتقية :٢٨٧.

(٥) تنظر : الروضتين :٨٧/١.

(٦) ينظر : م. ن: ٨٨/١.

(*) (الرها): مدينة بين النهرين في تركيا اشتهرت بمدرستها اللاهوتية التي انتقلت اليها من نصيبين بعد فتح الفرس لهذه المدينة ،فاصبحت (الرها) عاصمة الاداب السريانية حتى القرن السابع :من اشهر اساتذتها افرام السرياني ،ورابولا فتخها العرب سنة ٦٣٩هـ . معجم البلدان: (الرها).

(٧) ينظر : المنتظم في تاريخ الملوك والامم : ١٠/١١٢.

(٨) ينظر : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي : ٣٤١.

(٩) تنظر : الروضتين : ٢/٣٩٣.

(١٠) ينظر : م.ن : ٤٣٨/١.

(١١) النجوم الزاهرة: ٧/٦.

(١٢) النوادر السلطانية :٧٥.

(١٣) العبر في خبر من غير : ٢٥١/٤

(١٤) ينظر : كنز الدرر : ٨٤/٧– ٩٣.

(١٥) ينظر : الكامل في التاريخ :٣٣/١٢.

(١٦) تنظر : البداية والنهاية : ٣٤٨/١٢.

(١٧) تنظر : مصر في العصور الوسطى :٣٧٧,٣٣٥.

(١٨) تنظر : البداية والنهاية : ٣٢٠/١٣.

(١٩) ديوان ابن الخياط :١٨٤.

(٢٠) الروضتين :١٤١/١

(٢١) م.ن : ١١٧/٢ . القطين : الخدم والاتباع والحشم .

(*) (شيزر) : قلعة قديمة تقع شمالي حلب ،وهي من اعمال الشام ، وهي مسقط رأس اسامة بن منقذ وعرفها الصليبيون بأسم (شيزرة) . معجم البلدان: (شيزر)

(٢٢) الروضتين :٨٣/١

(*) (معرة النعمان) : مدينة في سوريا دعيت كذلك نسبة الى النعمان بن بشير والي معاوية استولى عليها البيزنطيون ثم الصليبيون استرجعها عماد الدين زنكي انتقلت الى أيدي الاتراك حتى الاستقلال ،وهي مسقط رأس الشاعر الفيلسوف ابي علاء المعري معجم البلدان: (معرة النعمان).

(٢٣) : ينظر : الكامل في التاريخ : ٢٧٨/١٠.

(٢٤) تاريخ الحروب الصليبية :٣٦٩/١

(٢٥) مرآة الزمان :٣٣/٨

(٢٦) خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام) :٨٧/٢ .

(٢٧) تاريخ إربل : ٤١٣/١.

(٢٨) الكامل في التاريخ : ٢١٢/١٠

(٢٩) النجوم الزاهرة:١٥١/٥.خلوق: الخلوق بالفتح ضرب من الطيب. طفل :اي دنا وقرب

(٣٠) المختار من ديوان ابن عقيل الزرعي : ٣٩

(٣١) مابين القوسين المعقوفين فراغ

(٣٢) المختار من ديوان ابن عقيل الزرعي :٣٩

(٣٣) م.ن : ٣٩

(٣٤) بصرى: تقع في جنوبي حوران الى الشرق من درعا. معجم البلدان:(بصرى). الرمثا :مدينة تقع شمالي الاردن على الحدود السورية .رحلات بيركهارت :١٤ طفس: قرية تقع اليوم قرب درعا جنوبي سوريا لم أجد لها ذكراً فيما وقعت عليه من المصادر) نجران : قرية تقع اليوم الى الشمال الغربي من السويداء في سوريا . معجم البلدان: (نجران).

(٣٥) المختار من ديوان ابن عقيل الزرعي :٣٩.

(٣٦) م. ن : ٣٩

(٣٧) تنظر :الروضتين : ٢٠٥/٢.

(٣٨) ينظر : مفرج الكروب : ٢٤٢,٢٤١/٤.

(٣٩) بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية : ٢٣١

(٤٠) م.ن : ٢٣١

(٤١) م.ن : ٢٣١

(٤٢) الروضتين : ٢٠٦/٢

(٤٣) م.ن : ٣٧/١

(٤٤) م.ن : ٩٧/١

(٤٥) ديوانه : ١٥٦/٢

(٤٦) م.ن : ١٥٦/٢ . المذاكي : هي الخيل التي كملت قوتها . القشاعم: جمع قشعم و هو المسن من النسور. دمى: جمع دمية وهي الصورة الجميلة من العاج واراد الشاعر هنا بالدمى النساء الجميلات .

(٤٧) م.ن : ١٥٦/٢

(٤٨) م.ن : ١٥٦/٢

(٤٩) ديوانه : ٣٨٢

(٥٠) الروضتين : ١٧٩/١

(٥١) م.ن : ١٠٣/٢

(٥٢) خريدة القصر (قسم شعراء الشام): ٥٣٢/١

(٥٣) ديوانه: ٥٢

(٥٤) جريدة القصر (قسم شعراء الشام): ٥٣٢/١

(*) (قيسارية) : بلد على ساحل بحر الشام ،وهي تعد من أعمال فلسطين، وكانت قديماً من المدن الكبيرة . معجم البلدان: (قيسارية)

(٥٥) ديوانه: ٧٦

(٥٦) الروضتين : ١٢٧/١

(*) (المرقب) : بلدة وقلعة حصينة تشرف على ساحل البحر الابيض وعلى مدينة بانياس. معجم البلدان: (المرقب) .

(٥٧) البداية والنهاية : ٣٠٥/١٣

(٥٨) كنز الدرروجامع الغرر: ٢٧٠/٨

(*) (صرخد):بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة . معجم البلدان: (صرخد).

(٥٩) المختار من ديوان ابن عقيل الزرعي:١٢.

(٦٠) الروضتين : ٩٩/١-١٠٠ . :الوقم : الذل والقهر

(٦١) م.ن :٩٧/١

(٦٢) م.ن :٩٧/١

(٦٣) ديوانه : ٢٠١. الختر :الغدر والخيانة .

(٦٤) م. ن : ٢٠٤ .

(٦٥) تنظر : الروضتين :٩٤/١.

(٦٦) م.ن : ٩٧/١

(٦٧) كنز الدرر وجامع الغرر: ٢٦٦/٨

(٦٨) ديوانه: ٣٨٣/٢.

(*) هو الملك المظفر عمر بن شاهنشاه الايوبي ،ابن أخي صلاح الدين ، وكان واليا ً على حماة وماجاورها ،وشارك في جهاد الصليبيين توفي سنة ٥٨٧هـ.

خريدة القصر (قسم شعراء الشام): ٨٠

(٦٩) جريدة القصر (قسم شعراء الشام): ٨٠

(٧٠) الروضتين : ١٥٠/١

(٧١) م.ن :١٥٦– ١٥٧ . الطلى: الاعناق

(*) (أنطرسوس):بلدة من سواحل البحر الابيض ،وهي من أعمال دمشق من البلادالساحلية .معجم البلدان: (أنطرسوس) .

(*) (يحمور) : لم اهتد الى تعريف بالموقع.

(٧٢) الروضتين : ١٦٣/١.

(٧٣) ديوانه : ٤٠٦/٢

(٧٤) م.ن ٤٠٦/٢

(٧٥) م.ن ٤٠٦/٢

(٧٦) ينظر :مفرج الكروب : ١٨٨/٢–٢١١،وتنظر :النوادر السلطانية :٧٥–٨١.

(٧٧) الروضتين :١٠٢/٢

(٧٨) م.ن : ١٠٢/٢

(٧٩) م.ن :١٠٢/٢

(٨٠) ديوانه :٢٢٩

(٨١) خريدة القصر (قسم شعراء العراق) : ٤٦٧/٣

(٨٢) الروضتين:٩٧/١.

(٨٣) الروضتين : ١٥٧/١. استوأرت :تتابعت

(٨٤) م.ن : ١١٨/٢

(٨٥) المختار من ديوان ابن عقيل الزرعي :٣٨

(٨٦) كنز الدرر وجامع الغرر: ٣١٥/٨

(٨٧) م.ن : ٣١٥/٨

(٨٨) درة الاسلاك في دولة الاتراك :٢٠٥

(٨٩) كنز الدرر : ٣١٥/٨

(٩٠) تنظر : البداية والنهاية : ٣٢٠/١٣

(٩١) ينظر : مصر في العصور الوسطى : ٢٦٦

(٩٢) تنظر : قصة الحضارة : ٦١/٤

المصادر والمراجع

- الامارات الارتقية في الجزيرة والشام ، د.عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٩٨٠ م .
- البداية والنهاية ،لابي الفداء الحافظ بن كثير ،مكتبة المعارف ، بيروت، ١٩٦٦
- بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية ، د.عبد الجليل عبد الهادي ، دار البشير ، عمان ، ١٩٨٩م.
- تاريخ أربل ، لابن المستوفي ابو البركات بن احمد ،تحقيق سامي الصقار ،بغداد ، دار الرشيد ،١٩٨٠ م.
- التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ،لمحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الاثير الجزري ، تحقيق : عبد القادر طليمات ، طبع ونشر دار الحديثة ،القاهرة ، ١٩٦٣م.
- تاريخ الحروب الصليبية :تأليف ستيفن رنسيمان ، ترجمة الدكتور السيد باز العريني ، ط١ ،مطبعة النجوى ،بيروت ،نشر دار الثقافة ، ١٩٦٧م.
- خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام) ،العماد الاصفهاني ، تحقيق :د.شكري فيصل المجمع العلمي العربي ،دمشق ،١٩٥٩م.
- خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العراق) ،العماد الاصفهاني ،تحقيق : محمد بهجة الاثري ،المجمع العلمي العراقي ، ١٩٦٤ م
- درة الاسلاك في دولة الاتراك ،تأليف حسن بن عمر المعروف بان حبيب ،مخطوط تحت رقم (٩١١) بالمكتبة السليمانية

- ديوان ابن الخياط ،أبي عبد الله محمد بن علي التغلبي ، تحقيق : خليل مردم بك ،المطبعة الهاشمية ،دمشق ،١٩٥٨م.
- ديوان ابن الساعاتي ،تحقيق :انيس المقدسي ،المطبعة الاميركانية ، بيروت ،١٩٧٨م
- ديوان ابن عنين ،شرف الدين محمد بن نصير المعروف بابن عنين ،تحقيق :خليل مردم بك، بيروت ،دار صادر ،(د.ت)
- ديوان اسامة بن منقذ ،تحقيق : أحمد احمد بدوي و حامد عبد الحميد ، المطبعة الاميرية ،مصر ،١٩٥٣م.
- ديوان سبط بن التعاويذي ،د.مرجليوث ومطبعة المقتطف ، مصر،١٩٠٣م.
- ديوان العماد الاصفهاني ،جمعه وحققه :د.ناظم رشيد ،جامعة الموصل، ١٩٨٣م .
- ديوان محمد بن اسحق الابيوردي ،تحقيق : د.عمر الاسعد ، مطبعة زيد بن ثابت،دمشق، ١٩٧٥م.
- رحلات بيركهارت ،لودفيش بيركهارت ،ترجمة:أنور عرفان ،وزارة الثقافة ،عمان ،١٩٩٦م
- العبر في خبر من غبر، شمس الدين الذهبي :تحقيق : صلاح الدين المنجد ،وفؤاد السيد ،دائرة المطبوعات والنشر ،الكويت ،١٩٦٣م.
- قيام الدولة الايوبية في مصر ،علي البيومي ،ط١، مطبعة دار الفكر ،مصر ،١٩٥٢م

- الكامل في التأريخ ،عز الدين ابن الاثير ،دار صادر ،دار بيروت ، ١٩٦٦م.
- كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، لشهاب الدين المقدسي المعروف بأبي شامة، تحقيق محمد حلمي محمد ، ط٢، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.
- كنز الدرر وجامع الغرر ، أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الداوداري ، تحقيق: أولرخ هارمان ، مطبعة عيسى الحلبي ،القاهرة ،١٣٩١هـ
- المختار من ديوان ابن عقيل الزرعي ،همام الدين احمد العامري الزرعي ،مخطوط رقم (٢٦١٨) طبقبوسراي ،تركيا
- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ،تأليف :شمس الدين يوسف سبط بن الجوزي ،ط١،مطبعة حيدرأباد،دائرة المعارف العثمانية ،الهند ،١٣٧٠هـ
- مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، سعيد عبد الفتاح عاشور واخرون ،ط١،مطبعة دار الهنا ،نشر دار النهضة المصرية ،١٩٧٠ م
- معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ،للمستشرق زامباور،ترجمة زكي محمد حسن وأخرون ،مطبعة جامع فؤاد الاول ، نشر الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ،١٩٥١م.
- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، بيروت، دار صادر و١٩٧٩م.

- مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ،لجمال الدين محمد بن سالم بن واصل ،تحقيق : د.جمال الدين الشيال،دار القلم –بيروت ،١٩٦٣
- المنتظم في تاريخ الملوك والامم ،لابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ،ط١،مطبعة دار المعارف العثمانية ،الهند .١٣٥٩هـ
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي،مطبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي في مصر ،(د.ت).
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ،بهاء الدين ابن شداد وتحقيق : جمال الشيال ،ط١،المؤسسة العامة للتأليف والنشر ،مصر ،١٩٦٤م.